إسهامات الموالي في النشاط الحرفي ببلاد المغرب بين القرنيين الثالث والرابع الهجريين(٩-١٠م)

د. لطيفة بشاري ♦

كان الموالي يؤدون دورا هاما في النشاط الاقتصادي، ببلاد المغرب في العصر الوسيط فقد كانوا يمدون جميع فروع الإنتاج باليد العاملة، في المدن، وفي الأرياف. فكانوا الطاقة المحركة لورش الحرف اليدوية، وفي المزارع، فقد اشتغلوا في معاصر الزيتون، وفي ورشات النسيج، وصناعة السيوف، والحصر، وتطريز الملابس، وفي البناء، وفي دور الضرب.

إسهامات الموالي في معاصر الزيتون:

كان الأرقاء يمثلون أغلبية العمال في معاصر الزيتون المنتشرة في مختلف المدن المغربية. ففي جزيرة جربة كان أصحاب المعاصر يشغلون العبيد السودان[1]. وفي القيروان كان القاضي عيسى بن مسكين[2] يشغل عبدا له، لا تعرف هويته، في دفع حبوب الزيتون إلى المسحاق، أثناء دورانه،[3] ويستعين في إدارته بدابة. بينما يجلس مولاه أمامه، وهو يقرأ أحاديث الرسول- صلى الله عليه وسلم[4].

♦ قسم التاريخ- جامعة الجزائر٢.

[1] الجبري أبو راس محمد، مؤنس الأحبة، ص١٦٢؛ إبراهيم بحاز بكير، الدولة الرستمية ١٦٠-٢٩٦هـ/٧٧٧-٩٠٩م، دراسة في الأوضاع الاقتصادية، الجزائر، ١٩٨٦م، ص١٦٦.

[2] هو عيسى بن مسكين بن منصور بن جريح بن محمد الإفريقي. أصله من العجم، مولى قريش. ولد حوالي سنة ٢١٤هـ، سمع من شيوخ افريقية، سحنون وغيره. رحل إلى المشرق مرّتين، طلبا للعلم. أصبح فقيها، فصيحا، زاهدا، يلبس الصوف، اشتغل بالتدريس. ولاه الأمير إبراهيم بن أحمد الأغلبي (٢٦١-٢٨٩هـ/٨٧٥-٩٠٢م) القضاء برقادة جبرا. فاشترط أن يعامل الأمير وأبناء عمومته، وجنده، وفقراء المسلمين، على حدّ سواء. وطلب أن يكتب هذا الشرط، اقتداء بشيخه الإمام سحنون. ودامت ولايته القضاء ثماني سنين وأحد عشر شهرا. توفي سنة ٢٧٥هـ أو سنة ٢٩٥هـ. شهد له الأمير الأغلبي بأنه نسيج وحده (عنه أنظر: القاضي عياض أبو الفضل، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج١، ص٤٦٥؛ ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص٢٨٠-٢٨١).

[3] تتكون معصرة الزيتون من أحواض، وتتمثل في المكان الذي توضع فيه حبوب الزيتون لسحقها، والمكان الذي توضع فيه العجينة التي تنتج عن سحق حبات الزيتون. ومن نتوء مركزي من الحجارة، به محور دوران المساحق، وهي كتلة حجرية تدور فتحول ثمار الزيتون إلى عجينة، يستخلص منها الزيت. وغالبا ما تستعمل الدواب لدفع المساحق لثقلها، وفي بعض الأحيان تستعمل الأيدي لذلك(عن معاصر الزيتون التقليدية وكيفية استخلاص الزيت بواسطتها أنظر: عزوق عبد= =الكريم: معاصر الزيتون التقليدية بمنطقة حوض الصومام، دراسة نموذجية، مقال في : آثار، مجلة علمية محكمة تعنى

المنارة للاستشارات
www.

والمعروف أن مطحنة الزيتون تنحت من الحجارة[5]. وتحتاج إلى طاقة كبيرة كي تطحن الحبوب، وتسحقها، فتستعمل الدواب لذلك؛ أما العبيد، فربما كانوا ينقلون أكياس الزيتون، وينظفون الثمار، ويفرغونها داخل المطحنة، ويردّونها إليها، كلّما تدفّقت على جوانبها. ويعبئون الزيت، وينظفون المكان. وإلى جانب معاصر الزيتون انتشرت مطاحن الحبوب، التي يشتغل بعضها بالمياه، وقد أقيمت على الأودية[6].وأكثر العاملين بها من العبيد[7]،لأنّ ذلك العمل يحتاج إلى مجهود عضلي، يوفره شبان تلك الفئة.

إسهامات الموالي في صناعة النسيج

واستخدم الرقيق في صناعة النسيج، فالهضاب العليا،في بلاد المغرب،كانت ولا تزال مسارح للغنم،وهي مصدر أنواع جيّدة من الصوف[8].استغلها سكان المدن القريبة من المنطقة في حرفة النسيج، وصنع الملابس الصوفية[9].واستُغِلَّ الرقيق، ذكورا وإناثا في تلك الصناعة، خاصة في الدولة الرستمية،التي كانت تتوفر فيها المادة الأولية[10].وقد وردت إشارة مفادها أنّ أمّ الخطاب،القاطنة بجبل نفوسة، كانت تشغل ثلاثة عشر جارية في بيتها[11].ولا شك أنّ هذا لم يكن المثال الوحيد في مجال هذه الصناعة.

واستخدم العبيد في مجالات الصناعة المختلفة، والحرف اليدوية بقدر تنوع حاجة الإنسان. واستطاع الكثير منهم أن يتفوّقوا في بعضها. ومن أبرز هؤلاء أبو سعيد الصيقل، مولى الأمير الأغلبي إبراهيم الثاني[12](٢٧٩-٢٨٥هـ/٨٩٢-٨٩٨م) وكان ذكيا

بنشر الدراسات والأبحاث في الآثار والتراث، يصدرها معهد الآثار، جامعة الجزائر، العدد ٠٨، السنة ٢٠٠٩، ص ١٨٥ فما بعدها من عدّة صفحات).

[٤] القاضي عياض أبو الفضل، المصدر السابق، ج١، ص٥٠١.

[٥] عن الحجارة الخاصة بصنع المطاحن في بلاد المغرب (أنظر: ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي): كتاب صورة الأرض، بيروت(دون تاريخ)، ص٨٤).

[٦] الكعاك عثمان: موجز التاريخ العام للجزائر، من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تقديم ومراجعة أبي القاسم سعد الله، محمد البشير الشنيتي، ناصر الدين سعيدوني، بحاز إبراهيم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣، ص١٧٧؛ بحاز إبراهيم بكير، المرجع السابق، ص ١٦٦).

[٧] ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق محمد ناصر و بحاز إبراهيم، المطبوعات الجميلة، الجزائر، ١٩٨٦م، ص١٢.

[٨] أنظر: لومبار موريس: الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق- سورية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٢٢٤؛ بحاز إبراهيم، المرجع السابق، ص١٦٧.

[٩] أنظر: بحاز إبراهيم، المرجع السابق، ص١٦٧- ١٦٨.

١٠ أنظر: الكعاك عثمان، المرجع السابق، ص١٧٨؛ عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، ج٢، العصر الإسلامي، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م، ص٥٧٧؛ محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، دار العودة، بيروت، ١٩٧٦، ص٢٠٦.

١١ الشماخي (أبو العباس أحمد بن السعيد): كتاب السير، مطبعة حجرية، قسنطينة، الجزائر، ١٣٠٧هـ، ص٢٤٧؛ بحاز إبراهيم، المرجع السابق، ص١٦٧.

١٢ هو الأمير الأغلبي التاسع، حكم بين سنتي ٢٧٩-و٢٨٥هـ.

المنارة للاستشارات
www.

يتقن بعض المهارات اليدوية، فحذق صنع الآلات الرياضية، وأجاد سنّ السيوف، وجلائها، حتى أنّه لقب بالصيقل[13]. كما كان متعدد المواهب، فتفوق في الأدب، نثرا وشعرا.

دور الموالي في صناعة السيوف:

لما حاول الخليفة الفاطمي الثالث، المنصور بالله (٣٣٤- ٣٤١هـ/ ٩٤٦- ٩٥٢م) صناعة نوع مميز من السيوف، كلّف الأستاذ جوذر بتنفيذ مشروعه، وطلب منه الاهتمام بالجودة، قائلا:" اعمل لنا سيوفا بحمائل على نصول، تطبعها بالمهدية، تكون لها، ولا يكون منها إفرنجي، ولا يماني، ولا غيره. فإن هذه السيوف المستعملة أمضى من كل سيف رأيناه. وقد اختبرنا ذلك، وجرّبناه مرارا. وليكن حلية كلّ سيف منها، بخمسين دينارا"[14].

فالمنصور أراد صنع سيوف أجود من السيوف الإفرنجية، واليمانية. وأن تكون كلّ قطعة منها، مصنوعة بعاصمة البلاد، فتُنسب إليها دون غيرها، من السيوف التي اختبر حدّتها في الميدان، أثناء حروبه مع أبي يزيد. وأوكل الإشراف على هذه المهمّة الكبيرة إلى أحد مواليه المقرّبين منه. وقد انتشرت مصانع الأسلحة في القيروان والمهدية، وصبرة، وبونة[15].

إسهامات الموالي في الطرز:

وفي العهد الفاطمي، اشتغل العبيد رقّامين، يرسمون بالذهب على ملابس الأئمة وعلى البُسُطِ، ويكتبون أسماءهم فوقها، ويضعون اسم الخليفة ولقبه في الألوية، التي يحملها قادة الجيوش، عند توجههم إلى القتال[16].

---

١٣ أنظر: حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، مكتبة المنار، تونس، ١٩٦٤م، ص٢٤٩.

١٤ العزيزي الجوذري (أبو علي منصور): سيرة الأستاذ جوذر، وبه توقيعات الأئمة الفاطميين، تقديم وتحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد بمصر، سلسلة مخطوطات الفاطميين، القاهرة، ١٩٥٤م، ص٤٧-٤٨.

١٥ البكري(أبو عبيد، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب(جزء من المسالك والممالك، نشره البارون دوسلان، طبعة الجزائر، ١٩٥٧، ص٢٥ وص٣٠؛ القلقشندي(أحمد بن علي)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م،ج٣، ص٦٤؛ ابن عذاري(أبو عبد الله المراكشي): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة س. كولان وإ. ليفي- بروفنسال، طبعة بيروت، ١٩٤٨م، ج١، ص٢٠٩).

١٦ سيرة الأستاذ جوذر، ص٥٢

المنارة للاستشارات
www.

وعمل أرقاء آخرون حصريين، فصنعوا حصرا جميلة، ومتقنة الصنع، قال عنها جوذر إنها من عجيب الأعمال، ومعجزة الصنعة[17]، ونالت إعجاب الخليفة المنصور[18] (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م)، فوصفها بالرياض الموقنة، وأمر بحفظها[19].

وكانت صناعة الحصر تنجز بالمهدية[20]، ويخصص بعضها للصلاة، ويتضح ذلك مما أمر به المعز لدين الله[21] (٣٤٤-٣٦٥هـ/٩٥٣-٩٧٥م) مولاه جوذر، بأن يكتب إلى نصير الصقلبي[22]، خليفته على المهدية، ليصنع حصير مصلى هدية لصقلبي، أسره الحسن بن عمار بن أبي الحسين[23]، في صقلية، وأسلم[24]. ولعلّ اهتمام المعز لدين الله

١٧ نفسه.

١٨ هو ثالث الخلفاء الفاطميين (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م)

١٩ سيرة الأستاذ جوذر، ص ٥٢.

٢٠ مدينة تنسب للخليفة الفاطمي الأوّل، عبيد الله المهدي، أسسها سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م.(ابن عذاري، المصدر السابق، ج١، ص ١٦٨-١٦٩)؛ أو سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥-٩١٦م(ياقوت الحموي(شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي)، معجم البلدان، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت- لبنان، ط.٢، ١٩٩٥م، مج ٥، ص ٢٢٩؛ ابن الآبار(محمد عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي(الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٦٣م، ج١، ص١٩٢)؛ فوق جزيرة الحمة(ابن عذاري، المصدر السابق، ج١، ص ١٦٨؛ القاضي النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠م، ص٩٠-٩١)؛ وتقع المهدية على بعد مرحلتين شمال مدينة القيروان(ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج ٥، ص ٢٣٠؛ وينسبها أبو زكريا إلى ابنه أبي القاسم، القائم بأمر الله، ويسميها القاسمية(كتاب سير الأئمة و أخبارهم، تحقيق و تعليق: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص١١٦).

٢١ هو: معد بن إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله المهدي، تلقب بالمعز لدين الله. بسط نفوذه على افريقية والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، وضم مصر، ورحل إليها سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٣م(أنظر: القاضي النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، نص ٦٢، تحقيق فرحات الدشراوي؛ الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م، ص٣٠ فما بعدها؛ ابن حماد (أبو عبد الله محمد الصنهاجي): أخبار ملوك بني عبد الواد وسيرتهم، تحقيق وتعليق جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤م، ص ١٧).

٢٢ عن نصير الصقلبي ونشاطه(أنظر: بشاري لطيفة بن عميرة، الرق في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى رحيل الفاطميين(ق١-٤هـ/ ٧-١٠م)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط، الجزائر، ٢٠٠٧ المرجع السابق، ص٢٩٩ وهنا وهناك).

٢٣ هو ابن عم الحسن بن علي بن أبي طالب الحسين الكلبي، مؤسس أسرة الكلبيين، بجزيرة صقلية. وكان الحسين بن عمار قائد الجيش الذي حاصر مدينة رمطة، سنة ٣٥٣هـ/ ٩٦٢-٩٦٣م، فهزم الروم، وقتل قائدهم مانويل، وأجبرهم على الفرار. فسقط الكثير منهم في جوف خندق يشبه الحفرة، من شدة الخوف. وقتل بعضهم بعضا. فسميت معركة الحفرة(أنظر: ابن الأثير(أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري الملقب بعز الدين): الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية،

المنارة للاستشارات
www.

بهذا الأسير الصقلي، يعود إلى كونه أحد وجهاء قومه، فسرّ الخليفة بإسلامه[25]. أو أنّه توسّم فيه خيرا، ورأى فيه من الصفات ما يؤهله ليكون من الموالي، الذين يمكن أن يقرّبهم إليه، ويستخدمهم، مثل: جوذر، وجوهر[26]، وغيرهما.

وكان جوذر مسؤولا عن الرسومات، التي تنقش فوق الملابس، والبُسُط. فيرسم للحصريين النقوش التي يطرّزونها، لحساب مولاه. وكانت مستوحاة من المذهب الإسماعيلي، ومطابقة لتوجيهات الخليفة الفاطمي[27]، الذي لاحظ عند اطلاعه على رسوماتهم أن مساحة الحصير ضيقة، فلا تحتمل كل الرسم، فتصرفوا في حيّز وكمية النقوش. فكان أكثر انسجاما، مما يدّل على خبرتهم وإتقانهم صنعتهم.

ولما انتهوا من صنع مصلى الأسير، كتبوا فوقه" مما عمل على يد جوذر مولى أمير المؤمنين". ولم يسجّلوا اسم الخليفة المعز لدين الله. فكان ذلك دليلا على أنّ الأستاذ[28] هو الذي كلن يشرف على العبيد المكلفين بالعمل. وعلى أنهم يتمتعون بهامش من الحريّة في عملهم. فالخليفة لم يؤاخذهم على ذلك، ولم يعاقب مولاه، بل ردّ اعتذاره، أو أنّ العبيد الحرفيين لا يعرفون الخليفة، ولا يتصلون به، وكان المسؤول المباشر عليهم هو جوذر.

بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، جزء ٨، ص٢٠٠؛ لقبال موسى: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (١١م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٩م، ص ٣٩٧)، وشارك القائد حسن بن عمار في الحملة الأخيرة على مصر بقيادة جوهر الصقلي (سيرة الأستاذ جوذر، ص١٧٩، التعليق رقم ٩٥؛ المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي): كتاب المواعظ والاختبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة، ١٣٢٥هـ، ج.٣، ص٥٧).

٢٤ سيرة الأستاذ جوذر، ص١٧٩، التعليق رقم ٧٩.

٢٥ سيرة الأستاذ جوذر، المصدر السابق، ص ١٨٨-١٨٩، التعليق رقم ٩٥.

٢٦ عنه أنظر: بشاري لطيفة بن عميرة، المرجع السابق، ص٤٨٨ فما بعدها.

٢٧ سيرة الأستاذ جوذر، ص٨٨؛ الدشراوي فرحات: الخلافة الفاطمية بالمغرب (٢٩٦-٣٦٥هـ/٩٠٩-٩٧٥م)، التاريخ السياسي والمؤسسات، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٤٣٠.

٢٨ كلمة فارسية، تعني الرئيس أو المعلم، أو رب الصنعة، وتطلق على خصي والموسيقى(أنظر:موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة، ١٤١٨/ ١٩٩٨م، ج٣، مقال: أستاذ ص٧٠٠)، وأطلقت في العهد الفاطمي على العبد، الذي يقوم بتربية الرقيق، وتعليمهم الكتابة، والرماية، ويعتني بشؤونهم المختلفة(أنظر: جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، طبعة جديدة الإسلامي، طبعة جديدة، راجعها وعلق عليها، حسين مؤنس، دار الهلال(بدون تاريخ)، ج٥، ص٣١)؛ وقد ذكر لقب الأستاذ لأول مرة، في سيرة جوذر، في عهد الخليفة المنصور بالله الفاطمي، حين استخلفه على" دار الملك وسائر البلاد، وأعطاه مفاتيح بيت المال" (سيرة الأستاذ جوذر، ص٤٤)، عند خروجه لملاحقة الثائر أبي يزيد مخلد بن كيداد، ولا يُعرف ما إذا كان هذا اللقب أعطي لجوذر في هذه المناسبة، أم غيرها.

المنارة للاستشارات
www.

وكانوا يستعملون السامات في نسج حصرهم، وهي عبارة عن عروق من الذهب، والفضة[29]. فهي مكلفة جدّا، ولعلّ كلفتها كانت من بين الأسباب التي جعلت الخليفة لا يأمر بإزالة اسم جوذر وتسجيل اسمه، بدلا عنه، في الحصير، الذي أمر به للأسير[30]. يضاف إلى ذلك مكانة مولاه عنده. كما اقترح الأستاذ جوذر على مولاه صنع حصر رفيعة لفرش قصره بالمهدية، وأن يسمح له بدفع تكاليفها من ماله الخاص. فوافق على اقتراحه؛ لكنّه تفضّل عليه بالمال[31] اللازم لتلك العملية.

وتعدّ حرفة طرز الملابس بخيوط الذهب، والفضة، والنقش على الحصر، مظهرا حضاريا متطورا، يدل على ذوق أصحابه الفني الرفيع، ويعبّر عن أناقة في المظهر، تعدّت الخلفاء إلى مواليهم، وأسراهم. وكان للأرقاء الفضل في ازدهارها. فساهموا بذلك في تطوير الذوق الجمالي الخاص باللباس، والأناقة، وتعدى هذا الأمر إلى الحصر الخاصة بفرش القصور، والخاصّة بالصلاة.

وكانت كتابة اسم الخلفاء الفاطميين على الملابس، والبسط، من العلامات الخاصة بهم، وهي، في نفس الوقت، إحدى شعارات السيادة، تبرز اهتمامهم بفرض أنفسهم على الجميع، وتدل على أن الحكم الذي كانوا يمارسونه، فردي، مطلق.

استخدام الموالي في البناء:

من المعلومات الواردة في شأن استخدام الموالي في عملية البناء ببلاد المغرب، أن عبد الرحمن بن رستم، مؤسس الدولة الرستمية، كان يستعين بعبد في بناء بيته، فكان يعجن الطين ويناوله منه ما يصلح به الشقوق[32]. وهذا يدل على بساطة البناء في بداية الإمارة الرستمية، حيث كان يُنجز بالطين والخشب. وكما يدل على تواضع الإمام، وتقشفه، وعلى عدم توفر الإمكانيات التي تسمح له بإقامة بناء فخم وما يؤيد هذا، أن أهل تيهرت لما كثرت الأموال في أيديهم، مثلهم مثل غيرهم، تنافسوا في بناء القصور[33].

ودلت الأسماء التي نُقشت فوق جدران بعض المساجد والرباطات[34]، التي أسست في عهد الإمارة الأغلبية، مثل نصير، وفتح، وريحان، وحبشي، وطارق[35]، وخلف،

---

٢٩ سيرة الأستاذ جوذر، ص١٨٣، تعليق رقم ١٠.

٣٠ نفس المصدر، ص١٨٣.

٣١ نفس المصدر، ص١٠٠.

٣٢ أنظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص٢٩.

٣٣ ابن الصغير، المصدر السابق، ص٣١-٣٢.

٣٤ مفردها رباط، وهي القلاع للزهاد وثكنات للمجاهدين، وفي سنة ٧٩٦م أسس عامل إفريقية هرثمة بن أعين، أوّل رباط بمدينة المنستير، ثم انتشرت الربط في مدن سواحل إفريقية، بصفاقس وسوسة وبنزرت، وشرشال، نكور،وسلى (أنظر: Marçais(G) : Les villes de la côte algérienne,et la piraterie au Moyen-Âge, dans Annales de l`institut des études orientales, t.13, 1955 124 Sqq)

٣٥ أنظر: محمد حسن، الجغرافيا التاريخية الإفريقية من القرن الأوّل إلى القرن التاسع الهجري (٧-١٥م)، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤م. ص١٥٠.

المنارة للاستشارات
www.

على أن الموالي أشرفوا على تشييدها. فنصير تابع تجديد جامع الزيتونة[36]. وتواصل العمل إلى فترة حكم زيادة الله الثاني(٢٤٩-٢٥٠هـ/٨٦٣-٨٦٤م). وساعد نصير في تلك العملية، فتَى آخر هو المهندس فتح، مما يعني أن بعض الفتيان كانوا يدرسون فنّ البناء، ويتقنونه. وقد جاء في الكتابة المرسومة بالخط الكوفي على دائرة قبّة محرابه:" بسم الله الرحمن الرحيم، مما أمر بعمله الإمام المستعين بالله[37]، أمير المؤمنين العباسي، طلب ثواب الله، وابتغاء مرضاته على يدي نصير مولاه، سنة خمسين ومائتين" يا أيُّهَا الذِين آمَنُوا كُونُوا قَوّامِينَ بِالقِسْطِ شُهَدَاءَ لله".[38]

ويبدو من هذا النص أنّ الذي أمر بتجديد المسجد هو المستعين بالله. إلا أن نسبة هذا العمل للخليفة العبّاسي فرضته ظروف التجديد. فالذي أراد ذلك هو أبو إبراهيم سادس الأمراء الأغالبة، وقد اشتهر بميله لفن العمارة. فقام ببناء الحصون، وأسوار المدن، والجوامع. ووسّع مسجد عقبة بن نافع بالقيروان. وبدأ في تجديد، وزخرفة جامع الزيتونة. إلا أنّه توفي قبل انتهاء المشروع. فواصل خلفه زيادة الله الثاني عمله، ولمّا أُنْجِزَ ، لم يشأ أن ينسبه لنفسه إكراما لأخيه، وفضّل أن ينسبه للخليفة المستعين بالله، حسب حسن حسني عبد الوهاب. ودليله على ذلك أن الفتى نصير الذي أشرف على عملية التجديد لم يكن مولى الخليفة المستعين بالله، بل كان من موالي الأغالبة، ونُسب إلى الخليفة لأنه يمثل السيادة العليا على الأسرة الأغلبية[39].

وفي عهد زيادة الله الأوّل (ذي الحجة ٢٠١-١٤ رجب ٢٢٣هـ/٢٥ جوان ٨١٧-١١ جوان ٨٣٨م)، أشرف مسرور الخادم على بناء قصر الرباط، داخل أسوار مدينة سوسة، وكان يتكون من طابقين[40]. وفي سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م، أنشأ له الفتى خلف منارة في الركن بين المغرب والقبلة، (في جنوبه- الغربي)، أطلق عليه اسم" منار خلف"[41].

---

٣٦ يعد جامع الزيتونة الثاني من حيث الأهمية، بعد مسجد عقبة بن نافع في القيروان، أسّسه القائد حسان بن النعمان الغساني، حوالي سنة ٨٠هـ/ ٦٩٩م، وأعاد بناءه عبيد الله بن الحبحاب، وجدّده الأمير الأغلبي أبو إبراهيم أحمد بن محمد. وأتمّ بناءه زيادة الله الثاني سنة ٥٠هـ (حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، ص١١٥-١١٦).

٣٧ أبو العباس أحمد بن المعتصم بن الرشيد، أخو المتوكل، ولد سنة ٢٢١هـ وأمه: أم ولد، اسمها مخارق، بويع له بالخلافة سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م، وخلع نفسه سنة ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م(السيوطي(جلال الدين عبد الرحمان الشافعي) تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ص٤١٣).

٣٨ سورة النساء، الآية: ١٣٥.

٣٩ المرجع السابق، ص١١٦-١١٧.

٤٠ كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق عمر السعدي في الكراسات التونسية العدد٧٩-٨٠، ١٩٧٢، ص٥١؛ G. Marçais, notes sur les Ribates en Berberie,. Mélanges d`histoire et d`Archéologie,Paris, 1925, p.395 sqq؛ محمد حسن، المرجع السابق، ص ١٤٨.

٤١ البكري، المصدر السابق، ص٣٤.

المنارة للاستشارات
www.

وعثر على نقيشة، بقصر[42] دويد، تعود إلى عهد الأمير الأغلبي محمد الأوّل (٢٢٦-٢٤٢هـ/ ٨٤١-٨٥٦م) كتب عليها" ممّا أمر به دؤيد بن إبراهيم بن الأغلب، على يد مولاه مسرور، سنة ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م[43].

ولما استقرت أوضاع الدولة الفاطمية، بعد ثورة أبي يزيد أمر، خليفتها الثالث المنصور بالله سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م، قدام الصقلبي، بعمارة مدينة جديدة، في مكان المعركة التي خاضتها جيوشه ضد صاحب الحمار ، ظاهر مدينة القيروان، أطلق عليها اسم المنصورية[44]. كما كلف ابنه وخليفته المعز لدين الله نصيرا، نائب الأستاذ جوذر بالمهدية ببناء سور حول زويلة. وهي ربض يقع بين المهدية والبحر" فيه الأسواق والحمام، ومساكن أهلها"[45]. وكان عبيد الله، لما بنى المهدية سورّها[46]، وأحاط ربض زويلة بجدار بسيط، وحفر خارجه خندقا لصدّ هجمات أبي يزيد. إلا أنّه لم يصمد أمام ضربات المهاجمين، فاستطاعوا اجتياز الخندق، واقتحام السور، ونهب الحي. وقتل عدد كبير من سكانه[47].

ولما انتهت تلك الثورة، أراد المعز أن يبني حولها سورا يكون حصنا لها من أي هجوم[48]. فبدأ نصير بأخذ القياسات وقام بدراسة تكاليف البناء، وقدّمها إلى الأستاذ جوذر الذي رفعها بدوره إلى الخليفة، فوافق عليها دون تردد. وقال:" هذا بنيان لا نستبد منه[49] فاسم المهدية عظيم، وهي الأصل الطيب، ودار الملك، وما يدركها من سوء يؤلم أنفسنا، ويوجع قلوبنا... فلا نستكثر ما ذكرته من النفقة..."[50].

٤٢ أطلق مصطلح: القصر، في عهد الأغالبة على الحصن، وعلى الرباط، وعلى المخازن الجماعية، والسكنات المحنة التي تتسع لبضع عشرات الأسر، مثل قصور الجريد ، وتصعب التفرقة بين وظائف القصر السكنية والعسكرية لشدّة اختلاطها (أنظر: محمد حسن، المرجع السابق، ص٢٨) وعن معنى القصر (أنظر: الزبيدي (محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتض الحسيني الواسطي الحنفي)، تاج العروس من جواهر القاموس، دراسة و تحقيق، علي شيري، دار الفكر للطباعة، والنشر، والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٨م، ج٣ ، ص٤٩٤).

٤٣ أنظر محمد حسن، المرجع السابق، ص١٥٠.

٤٤ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص٣٨٦- ٣٨٧؛ التجاني(أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد)، رحلة، قدم لها حسن حسن عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨١، ص ٣٢٨؛ الدشراوي، الخلافة، ص٥٤٢- ٥٤٣.

٤٥ البكري، المصدر السابق، ص٢٩.

٤٦ نفس المصدر، ص٣٠.

٤٧ ابن الأثير، الكامل، مج٧، ص١٩١- ١٩٢.

٤٨ سيرة الأستاذ جوذر، ص ١٨٤-١٨٥، تعليق رقم ١٢٣.

٤٩ لم نعثر على معنى هذه الكلمة.

٥٠ المصدر السابق، ص٢٩.

المنارة للاستشارات
www.

ومع أن منصور العزيزي لم يفدنا بقيمة المبلغ المالي الذي حُدد للنفقة على السور، إلا أنّ الواضح من عبارات النص أنها كانت باهظة، كما أنه لم يتعرض لطوله وعرضه. ولم يتطرق إلى مواد البناء، وعدد الأبواب، وعدد العمّال. وإذا كان هؤلاء من الأحرار أم من العبيد أم من الصنفين. ولم يعرّف بالمهندس أو المهندسين المشرفين على عملية البناء.

كما أن الكتاب الذي بعث به نصير إلى المعز، والتوقيع الذي أجاب به هذا الأخير لم يتضمنا تاريخ إنجاز المشروع، أو البناء، وقد رجّح محققا الكتاب أنّ ذلك يكون قد وقع بين سنتي ٣٤١ هـ و ٣٦٠هـ، أي بين بداية خلافة المعز لدين الله، واستعداده للانتقال إلى مصر. وهذا بديهي، لأن الذي أمر بالبناء هو الخليفة المعز لدين الله، ولكن يمكن أن يكون ذلك، إثر انتقاله إلى مدينة المنصورة.

والأهم من عدم معرفة تاريخ الموافقة على المشروع، هو عدم معرفة ما إذا تمّ بناء السور في عهد هذا الخليفة؟ لأن البكري ذكر أنّ المعز بن باديس، هو الذي بنى سور زويلة.

ويعزو Vonderheyden مساهمة الرقيق الصقالبة في البناء، إلى كونهم يحملون إرثا كبيرا، من الرومان، والبيزنطيين، في فن العمارة. بينما لم يكن العرب يتقنون هذا الفن. لذلك استعان بهم الأغالبة، الذين اشتهروا بالبناء والتشييد، في إنجاز المشاريع العمرانية، فكان منهم: خلف، ومسرور، ومرام، وقد كتبت أسماؤهم بالخط الكوفي على رباط سوسة[51]. وواصلوا نشاطهم خلال الدور المغربي للخلافة الفاطمية.

ولما أصبح جوهر حاكم مصر، أشرف على تسيير شؤونها مدة أربع سنين وأيام[52]، فقام ببناء مدينة القاهرة، على ضفاف النيل، على بعد ميل شمال الفسطاط. وجعلها عاصمة البلاد. وأول شيء قام به في ١٧ شعبان سنة ٣٥٨هـ/٦ يولو ٩٦٦م،[53] هو وضع أساس قصر المعز[54]، الذي أطلق عليه تسمية القصر المعزي. ويتكون من أربعة ألاف حجرة. دخله الخليفة في ٧ رمضان سنة ٣٦٢هـ/ يونيو- يوليو ٩٧٣م. كما شيّد بها ثكنات الجنود، ودور رجال الحاشية، ومدّ بها الطرقات، وسورّها، وجعل لها أربعة أبواب، منها باب زويلة، وباب النصر، وباب الفتوح. فكانت حصنا للخليفة، وجنده، وحاشيته، وسمّاها جوهر المنصورية، نسبة إلى المنصور والمعز، لكن هذا الأخير

---

(51) G. Marçais : Manuel d`art musulman, Paris, 1926- 7, t. 1, p.12.

٥٢ ابن حماد، المصدر السابق، ص ٥٨.

٥٣ المقريزي(تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي)، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ج١، ص١١١؛ أو١٤ في جمادي الأولى سنة ٣٥٩هـ (إبراهيم جلال، المعز لدين الله، إحياء الكتب العربية بمصر (دون تاريخ)، ص٨٤).

٥٤ المقريزي، المصدر السابق، ج١، ص١١١، علي إبراهيم حسن، تاريخ جوهر الصقلي، قائد المعز لدين الله الفاطمي، مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٤١.

المنارة للاستشارات
www.

سماها القاهرة[55]. و في رمضان سنة ٣٥٩هـ/ أفريل ٩٧٠م، شرع في بناء المسجد الأزهر[56]، لنشر المذهب الشيعي في مصر. وقد استغرق بناؤه حوالي سنتين. وفي ٧ رمضان سنة ٣٦١هـ/ ٢٢ يوليو ٩٧٢م، أقيمت فيه أوّل صلاة.

دور الموالي في دور الضرب:

أ/ في عهد الإمارة الأغلبية:

تعود الإشارات الأولى، التي تدل على أنّ العبيد كان لهم نشاط هام في دور الضرب[57]، إلى عهد الأغالبة؛ حيث كلّف عدد من الأمراء بعض العناصر الصقلبية، بالإشراف على السكة، والسّهر على عملية ضرب النقود، ومراقبة عيارها وصناعها. وكان يضرب فيها: الدينار الذهبي والدرهم الفضي، والفلس النحاسي[58].

وقد عُثر على قطع نقدية تحمل أسماء بعض الفتيان[59]،منهم:موسى، ومسرور وجبران،وخلف،وحسن، وبلاغ، وشاكر، وخطاب. إلى جانب أسماء الأمراء. وأدى تكرار هذه العملية إلى اعتبارها تقليدا متبعا.[60] في سك النقود الأغلبية[61].

أمّا موسى فقد كان مولى الأمير إبراهيم الأول (١٨٤- ١٩٦هـ/ ٨٠٠- ٨١٢م) ولا يعرف عنه سوى أنّه من الفتيان، ونقش اسمه على الدينار، الذي ضربه في عهد مولاه. كما كتب اسم مسرور خادم زيادة الله الأوّل (٢٠١- ٢٢٣هـ/ ٨١٧- ٨٣٨م) على الدينار الذي ضرب سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧- ٨٢٨م، في السطر الرابع تحت شهادة التوحيد(لا إله إلا الله وحده لا شريك له). وكذلك فوق الدنانير التي صدرت في سنوات: ٢١٩هـ/٨٣٤و، و٢٢١هـ/ ٨٣٥- ٨٣٦م، و ٢٢٣هـ/ ٨٣٧- ٨٣٨م. وظهر اسم هذا

---

(55) Mohnes : E. I.. t. II. Article Djawdhar, .507.

٥٦ القاضي النعمان، المجالس والمسايرات،- كتاب المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي، إبراهيم شبّوح، محمّد اليعلاوي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٩٧٨م، ص٣١١.

٥٧ عنها أنظر: E.I. ed. 1965, T.2, art sikka, p. 120 ؛ وكان الخلفاء والأمراء يكلفون عادة أحد القضاة بالإشراف على دور الضرب (الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف)، كتاب الولاة و كتاب القضاة، مهذبا و مصححا بقلم رفن كست، طبع بمطبعة الأباء اليسوعيين- بيروت، ١٩٥٨م، ص ٥٦٢- ٥٦٣؛ Ben Romdhan Kh. : Les Monnaies almohades, aspects idéologiques et économiques, thèse de Doctorat 3ème cycles, histoire dactylographiée, Université de Paris(Jussieu) , 1978, Tome1, p.131.

٥٨ أنظر: صالح بن قربة: المسكوكات المغربية، من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، ١٩٨٦م، ص ١٧٧ فما بعدها من عدّة صفحات؛ مارسي جورج، بلاد البربر وعلاقتها بالمشرق في العصور الوسطى، ترجمه عن الفرنسية محمود عبد الصمد هيكل، واستخرج نصوصه، مصطفى أبو ضيف أحمد ، الإسكندرية، ١٩٩١، ص٩٥.

٥٩ أنظر: مارسي جورج، المرجع السابق، ص٩٥؛ Lavoix, Catalogue des monnaies de la Bibliothèque nationale, Espagne et Afrique, Paris, MDCCCXCL (1891), P. 360.

٦٠ نفسه.

٦١ أنظر: حسن حسني عبد الوهاب، ورقات، ص٤٢٩.

المنارة للاستشارات
www.

الفتى أيضا فوق درهم فضّى، صدر سنة ٢٠٨/٨٢٣م[62]. ونقش اسم الفتى جبران وهو من خدم أبي العباس محمد الأوّل (٢٢٦- ٢٤٢هـ/ ٨٤١- ٨٥٦م) والفتى خلف على الدنانير التي ضربت في نفس الفترة. وتعود القطعة الأولى إلى سنة ٢٢٦هـ٨٤٠-٨٤١م، وعلى الدينار الذي ضرب سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٣-٨٤٤م، وعلى قطعة أخرى صدرت سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٤-٨٤٥م[63]. وعثر على دينار ضرب سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧-٨٦٨م، في فترة إمارة أبي الغرانيق، يحمل نفس الاسم، وكتب بنفس الطريقة. وقد يكون نفس الفتى، هو الذي واصل الإشراف على ضرب السكة، بعد وفاة سيّده أبي العباس محمد بن الأغلب، سنة ٢٤٢هـ/ ٨٥٦م.

وظهر اسم فتى آخر، يدعى حسن، ربما عاصر خلف، أو جاء مباشرة بعده، كتب في السطر الرابع من الكتابة المركزية لوجه دينار، ضرب في عهد أبي الغرانيق محمد بن أحمد(٢٥٠-٢٦١هـ/٨٦٤-٨٧٤م)، ويعود تاريخه إلى سنة ٢٦٠هـ٨٧٣-٨٧٤[64]. ثم اختفى اسمه بموت سيده. وبرز فتيان اثنان، في نفس الفترة، أثناء إمارة إبراهيم الثاني، (٢٦١- ٢٨٩هـ٨٧٤- ٩٠٢م)، هما شاكر وبلاغ. أما شاكر فقد وُجد اسمه منقوشا فوق دينار، ضرب بعد سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣-٨٨٤م. كتب في السطر الرابع تحت شهادة التوحيد، في مركز الوجه. وقد حذف حرف الألف من اسمه، فجاء" شكر بدل شاكر"[65]. ونقش اسم الفتى بلاغ، بنفس الطريقة، فوق مجموعة من الدنانير صدرت في سنوات متفرقة منها تلك التي ضربت في ٢٦٤هـ/ ٨٧٧- ٨٧٨. وفي سنة ٢٩٩هـ/ ٨٧٩-٨٨٠م؛ ٢٦٧هـ/٨٨٠-٨٨١م؛ وفي سنة ٢٧١هـ/٨٨٤-٨٨٥م، وفي سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩-٨٩٠م[66] وجاءت حروف هذا الاسم غير واضحة، فلا توجد نقاط حرف الباء والغين، وأضيفت ألف مقصورة في آخره فكتبت هكذا" بلاعي" ممّا تسبب في جدل بين المهتمين بدراسة المسكوكات، حول معنى تلك الكلمة. وحاولوا تقديم إجابات مختلفة،

---

(62) Farrugia de candia : Monnaies Aghlabides du Musée de Bardo, dans la Revue Tunisienne, 1935, pp.271 sqq ; Lavoix (H) : op. cit., p.360.

(63) H.Lavoix, op. cit. pp. 354-533.

٦٤ Id؛ مارسي جورج، المرجع السابق، ص٩٥.

(65) H.Lavoix, op. cit. p.360 sqq.؛ بن قربة صالح، المرجع السابق، ص١٩٧- ١٩٨.

٦٦ عن رسم اسم بلاغ (أنظر: Lavoix, op. cit, pp. 360 sqq ;(M) Amari, Storia : dei musulmani .(di Sicilia, T.II. p.456.

المنارة للاستشارات
www.

لكنهم في النهاية اتفقوا على أنّه اسم أحد الفتيان، وفي الغالب، يكون اسم الفتى: بلاغ[67]، الذي كان مقرّبا من الأمير[68].

وظهر اسم خطاب الفتى على الدينار الذي ضرب سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٣م، في عهد زيادة الله الثالث[69] (٢٩٠- ٢٩٦هـ/ ٩٠٣-٩٠٩م) فكان آخر من تولى النظر في دار الضرب الأغلبية.

كان هؤلاء الفتيان من الخصيان الصقالبة[70]. ويرى بعض الباحثين أن كتابة أسمائهم على النقود، يعود للعلاقة الحميمية التي تربطهم بمواليهم الأمراء[71]. في حين يرى البعض الآخر أن ذلك راجع إلى اضطلاعهم بمهمّة الإشراف على ضرب السكّة[72]. فكانوا يشغلون منصب ناظر دار الضرب، وهو القيم على جميع شؤونه[73]. أو أن الأمراء لم يجدوا من يثقون فيهم غير مواليهم.

المهم أن هؤلاء الفتيان، أشرفوا على دار الضرب، وأتقنوا عملهم، فكان عيار السكة من النوع الجيّد، وصنعتها حسنة، فأصبحت أفضل من تلك التي كانت متداولة في عصر الولاة[74]. وتمكن هؤلاء الفتيان من تخليد أنفسهم بكتابة أسمائهم إلى جانب أسماء مواليهم. لكنها غالبا ما كانت تختفي مباشرة بعد موت مولى كل واحد منهم.

ب/ في عهد الخلافة الفاطمية:

لا توجد معلومات حول دور العبيد في ضرب النقود، أثناء حكم الخلفاء الفاطميين الثلاثة الأوائل. أما في عهد رابعهم المعز لدين الله، فقد كان نظيف الكاتب، متولي بيت المال، هو الذي يشرف على تلك العملية، وضبط عيارها[75]. وعلى إثر نشوب خلاف

---

٦٧ وقد بدأ اسم بلاغ يظهر فوق النقود التي يعود تاريخها إلى سنة ٢٦٤هـ/ ٨٧٧- ٨٧٨م، ولم يعد للظهور بعد سنة ٢٧١هـ/ ٨٨٤- ٨٨٥م حسب Lavoix؛ لكن محمد الشابي ذكر أن اسم بلاغ نقش فوق قطع، يعود تاريخها إلى سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩-٨٩٠م، (مقدمة لدراسة نقود افريقية العربية، المجلة الإفريقية، العدد ١، تونس، ١٩٦٦م، ص ١٨٨؛ ابن قربة صالح، المرجع السابق، ص١٧٩).

٦٨ أنظر: Lavoix, op. cit. p.360 ؛ ووصفه الطالبي محمد، بالشهير (الدولة الأغلبية،١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م، التاريخ السياسي، نقله إلى العربية، المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٩٨٥م، ص٧٥٧).

٦٩ ابن عذاري ، المصدر السابق، ج١، ص١٤٥؛ ابن الأبار، الحلة السراء، ج١، ص١٧٧.

٧٠ أنظر: Vonderheyden (M.) : La Berberie orientale sous la dynastie des Benoul- Arlab (800-207 ,Paris, 1927,p؛ الطالبي محمد، المرجع السابق، ص٣١٩.

٧١ حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص٤٢٩.

٧٢ ابن قربة صالح، المرجع السابق، ص ١٧٩.

٧٣ حسن حسني عبد الوهاب: المرجع السابق، ص١٧٩.

٧٤ ابن قربة صالح، المرجع السابق، ص١٧٩.

٧٥عن نسبة نقاوة الدنانير الفاطمية (أنظر: بن قربة صالح، المرجع السابق، ص٢٧٩؛ وعن عيار العملة ووزنها في العالم الإسلامي في المشرق والمغرب (أنظر: Blancard Louis : sur l`origine du Monnayage musulman, Revue numismatique, 3 ème séries, no2, 1984, p. 334. sqq.

المنارة للاستشارات
www.

بين نظيف وعلوش السكاك، عندما أراد هذا الأخير أن يختبر عيار النقود غير المتداولة، المسماة الغلة، راسل نظيف مولاه جوذر. فرفع بدوره هذه القضية إلى الخليفة المعز، ففصل فيها، قائلا:" يا جوذر هذا الذي ذكره (يقصد الكاتب) بالاختبار عليه من الغلة محال. إذ هو يعرف ما يرفع في الغلة، فليس يجعل على نفسه شاهدا منها. ولكن إنما يختبر عليه ما بأيدي الناس[76]. ففيها تقع المصانعة. لأن التاجر (أي الصراف) يرضى أن يأخذ من الغلة على الجودة، ويسامح في غير ذلك، إذ الربح مشترك بينهما فعرّفه ذلك، وحذره من السقطة (الخطأ)، وأحضر بدرا إلى نفسك، واسمع كلامه على ذلك. ثم عرّفنا بما تقف عليهما من قولهما، إن شاء الله"[77].

ولما دخل القائد جوهر مصر، اهتم بالنقود. فكتب في عهد الأمان وعدا بتجديد السكة[78]، ومنع الغش فيها، والعودة بها إلى العيار السليم.

وعندما استقرت له الأوضاع بها، أمر بفتح دار الضرب، وسك النقود، وكتب على أحد الوجهين، في السطر الأول" دعا الإمام معد بتوحيد الإله الصمد". وفي السطر الثاني " المعز لدين الله أمير المؤمنين".

وفي السطر الثالث" بسم الله ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، وكتب على الوجه الثاني" لا إله إلا الله محمد رسول الله. أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون على أفضل الوصيين وخير المرسلين"[79].

فالخليفة المعز لدين الله لم يتردد، كما يلاحظ في تولية الموالي مسؤولية ضبط عيار النقود.وكان نظيف الريحاني شديدا في مراقبته لما يجري. ولم يحسم جوذر بنفسه الخلاف بين نظيف وعلوش. بل ردّه إلى الخليفة الذي أرشده إلى طريقه معالجة هذه المسألة، تاركا القرار الأخير بيده. ممّا يدل على حرصه على معرفة كلّ صغيرة، وكبيرة في إدارة البلاد، فقد أحكم قبضته على دواليب الحكم، ومؤسساته، مستعينا في ذلك بعبيده الذين كانوا ينفذون أوامره حرفيا. كما يدل موقف المعز على صلابة النظام المالي، وهو شرط أساسي لضمان استمرار الهيمنة التي سنّها عبيد الله المهدي[80].

وهكذا يتبين أن الموالي تمكنوا من التسرب إلى الإدارة المالية للخلافة الفاطمية فساهموا في تسيير بيت المال، وأشرفوا في أواخر دورها المغربي، على ضرب النقود، وأتقنوا عملهم.

---

٧٦ يقصد العملة المتداولة بينهم، (الدشراوي فرحات، المرجع السابق، ص٥٠٨).

٧٧ سيرة الأستاذ جوذر، ص٩١.

٧٨ السكة في الأصل هي قطعة الحديد التي تطبع بها النقود، ثم أطلقت على الدينار، والدرهم (المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج١، ص١٠٤).

٧٩ سماها المقريزي السكة الحمراء ولم يشرح سبب ذلك (المصدر السابق، ج١، ص١١٥- ١١٦؛ لقبال موسى، المرجع السابق، ص٤٧٨.

٨٠ الدشراوي فرحات، المرجع السابق، ص ٥٠٩.

المنارة للاستشارات
www.

وهكذا فإنه يتضح مما سبق أن عدد الموالي كثر في المجتمع المغربي، في عهد الأغالبة والفاطميين وساهموا بمجهودهم الفكري، والعضلي، في تنشيط ورش الحرف، التي كانت رائجة في تلك الفترة. بحيث كان منهم من عمل في معاصر الزيتون، ومطاحن الحبوب، وصناعة النسيج، والآلات الحربية، وفي صناعة وطرز الحصر، وفرش القصور، وشيدوا المدن والقصور، والأسوار، فكان منهم المهندس، والصانع، والبناء. وكان لهم دور هام في دور ضرب النقود، وأظهروا قدرات كبيرة على الاضطلاع بهذه المهام فضاهوا الأحرار وتفوقوا عليهم أحيانا.

بيبليوغرافيا:

- ابن الأبار(محمد عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي): الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٦٣م.

- إبراهيم بحاز بكير: الدولة الرستمية ١٦٠-٢٩٦هـ/٧٧٧-٩٠٩م، دراسة في الأوضاع الاقتصادية، الجزائر، ١٩٨٦م.

- ابن الأثير(أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري الملقب بعز الدين): الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

- بشاري لطيفة بن عميرة: الرق في بلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى رحيل الفاطميين(ق١-٤هـ/ ٧-١٠م)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط، الجزائر، ٢٠٠٧م.

- البكري(أبو عبيد الله بن عبد العزيز (توفي سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م): المغرب في وصف بلاد إفريقية و المغرب، هو جزء من كتاب المسالك و الممالك، نشره البارون دوسلان، ط.٢، الجزائر، ١٩٥٧م.

- التجاني(أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم): رحلة، قدم لها حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨١م.

- جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، طبعة جديدة الإسلامي، طبعة جديدة، راجعها وعلق عليها، حسين مؤنس، دار الهلال(بدون تاريخ).

- جورج مارسي: بلاد البربر وعلاقتها بالمشرق في العصور الوسطى، ترجمه عن الفرنسية محمود عبد الصمد هيكل، واستخرج نصوصه، مصطفى أبو ضيف أحمد، الإسكندرية، ١٩٩١م.

- حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، مكتبة المنار، تونس، ١٩٦٤م، ص٢٤٩.

المنارة للاستشارات
www.

- ابن حماد(أبو عبد الله محمد الصنهاجي): أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق وتعليق جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤م.

- ابن حوقل(أبو القاسم النصيبي): كتاب صورة الأرض، بيروت(دون تاريخ).

- الداعي إدريس: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.

- الزبيدي(محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتض الحسيني الواسطي الحنفي): تاج العروس من جواهر القاموس، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٨م.

- السيوطي(جلال الدين عبد الرحمان الشافعي): تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

- الشماخي(أبو العباس أحمد بن السعيد): كتاب السير، مطبعة حجرية، قسنطينة، الجزائر، ١٣٠٧هـ.

- صالح بن قربة: المسكوكات المغربية، من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦م،

- ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، ١٩٨٦م.

- عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير، ج٢، العصر الإسلامي، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

- ابن عذاري(أبو عبد الله المراكشي): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، طبعة بيروت، ١٩٤٨م.

- العزيزي الجوذري(أبو علي منصور): سيرة الأستاذ جوذر، وبه توقيعات الأئمة الفاطميين، تقديم وتحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد بمصر، سلسلة مخطوطات الفاطميين، القاهرة، ١٩٥٤م.

- عزوق عبد الكريم: معاصر الزيتون التقليدية بمنطقة حوض الصومام، دراسة نموذجية، مقال في : آثار، مجلة علمية محكمة تعني بنشر الدراسات والأبحاث في الآثار والتراث، يصدرها معهد الآثار، جامعة الجزائر، العدد ٠٨، السنة ٢٠٠٩.

- علي إبراهيم حسن: تاريخ جوهر الصقلي، قائد المعز لدين الله الفاطمي، مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٣م.

المنارة للاستشارات
www.

- فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب(٢٩٦-٣٦٥هـ/٩٠٩-٩٧٥م)، التاريخ السياسي والمؤسسات، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م.

- ابن فرحون(القاضي إبراهيم بن نور المالكي): الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- القاضي عياض (أبو الفضل السبتي موسى بن عياض): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

- القاضي النعمان(بن محمد بن حيون التميمي، أبو حنيفة، قاضي قضاة الدولة الفاطمية):

١- رسالة افتتاح الدعوة(رسالة في ظهور الدعوة العبيدية الفاطمية)، تحقيق وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠م. وتحقيق آخر قام به فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، ١٩٨٦م.

٢- كتاب المجالس و المسايرات، تحقيق الحبيب الفقي، إبراهيم شبّوح، محمّد اليعلاوي، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٩٧٨م.

- القلقشندي(أبو العباس أحمد بن علي): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة العامة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م.

- الكعاك عثمان: موجز التاريخ العام للجزائر، من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تقديم ومراجعة أبي القاسم سعد الله، محمد البشير الشنيتي، ناصر الدين سعيدوني، إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.

- الكندي(أبو عمر محمد بن يوسف): كتاب الولاة و كتاب القضاة، مهذبا و مصححا بقلم رفن كست، طبع بمطبعة الأباء اليسوعيين- بيروت، ١٩٥٨م.

- لقبال موسى: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري(١١م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٩م.

- لومبار موريس: الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق-سورية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

المنارة للاستشارات
www.

- مؤلف مجهول: كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق عمر السعدي، الكراسات التونسية، العدد ٧٩-٨٠، تونس، ١٩٧٢م.

- محمد حسن: الجغرافيا التاريخية الإفريقية من القرن الأوّل إلى القرن التاسع الهجري(٧-١٥م)، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، ٢٠٠٤م.

- محمد الشابي: مقدمة لدراسة نقود إفريقية العربية، المجلة الإفريقية، العدد ١، تونس، ١٩٦٦م.

- محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، دار العودة، بيروت، ١٩٧٦م.

- المقريزي(تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي):

١- كتاب المواعظ والأخبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة، ١٣٢٥هـ.

٢- اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

- موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة، ١٤١٨/ ١٩٩٨م.

- Ben Romdhan Kh. : Les Monnaies almohades, aspects idéologiques et économiques, thèse de Doctorat 3ème cycles, histoire dactylographiée, Université de Paris(Jussieu), 1978.

- Blancard Louis : sur l`origine du Monnayage musulman, Revue numismatique, 3ème séries, no2, 1984.

- Farrugia de candia : Monnaies Aghlabides du Musée de Bardo, dans la Revue Tunisienne, 1935.

- H. Lavoix : Catalogue des monnaies de la Bibliothèque nationale, Espagne et Afrique, Paris, MDCCCXCL (1891).

- Marçais Georges : Les villes de la côte algerienne et la piraterie, au moyen age, dans A.I.E.O., XIII, 1955.

- G. Marçais : - Manuel d'art musulman, Paris, 1926.

- G. Marçais : Notes sur les ribats en Berberie, dans Mèlanges d'Histoire et d'Archèologie, Paris, 1925.

- Mohnes : E. I.. t. II. Article Djawdhar.

المنارة للاستشارات
www.

- Vouderheyden (M.) : La Berberie orientale sous la dynastie des Benoul- Arlab (800-909), Paris, 1927.

المنارة للاستشارات
www.